الآداب

المجلد:22، العـــدد:01، ديسمبر 2022

الصفحات: 64-83 ISSN 1111 – 4908 EISSN 2588 – 2228

# إشكالية المنهج في مقاربات عبد الحميد بورايو للمناهج الحديثة

# The problem of methodology in Abdelhamid Bourayou's approaches to Modern Methodologies

ط.د. عمار بحاير [1]

[1] جامعة قسنطينة1، الجزائر behair75@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/07/16 تاريخ القبول: 2022/11/13 تاريخ النشر: 2022/12/15

**ملخص:**

ينضوي هذا البحث حول أسئلة المنهج التي حظيت بالدراسة في المقاربات النقدية الحديثة، ويعدّ عبد الحميد بورايو من النقاد الجزائريين الذين اهتموا بتحليل النصوص السردية وفق مقاربات متعددة؛ ولذلك تسعى الدراسة إلى تقديم قراءة حول أهم المناهج الحديثة التي استعان بها الناقد في تطبيقاته خاصة الأشكال الشعبية كالقصص الشعبي والحكايات الشعبية المغاربية، أضف إلى ذلك بيان طريقة تعامله مع النصوص الأدبية المختلفة، وكذا معرفة مسار التحليلات للبنى السردية عن طريق تحديد العلاقات والدلالات التي تشكل النظام السردي للنصوص، مع مناقشة الروافد المنهجية الحديثة التي استند إليها الناقد.

***الكلمات المفتاحية:*** المناهج؛ المقاربات؛ المواد الأدبية؛ الأشكال الشعبية.

**Abstract:**

*This research tackles the question of methodology that has been studied in modern critical approaches. Abdelhamid Bourayou is one of the Algerian critics interested in analyzing the narrative texts according to multiple approaches. Therefore, this study seeks to provide a reading on the most important modern methodologies that this critic used in his applications, especially popular forms such as popular stories and popular Maghrebis folk tales in addition to explaining the way he deals with various literary texts. It also tackles his analyses of the narrative structures by identifying the relationships and indications that constitute the narrative system of texts, while discussing the modern methodological tributaries on which he based his critique.*

***Keywords:*** *Methodologies; Approaches; Literary materials; Popular forms.*

المؤلف المراسل: عمار بحاير.

**مقدّمة:**

إنّ الناظر الحصيف لخطاب المنهج في الدراسات النقدية الحديثة يكتشف تجدد في الخطاب النقدي المعاصر، وهو دليل على مركزية هذه الإشكالية.

وبالاعتماد على أهم الدراسات النقدية والأدبية التي قدمها عبد الحميد بورايو في مقارباته المنهجية للنصوص السردية خاصة البحث في النيَّاسة الأدبية لذا يستهدف البحث تقديم قراءة لمجموعة من المقاربات التي تضمنتها الدراسات بمنظور نقد النقد، وكذا معرفة أهم الروافد المنهجية التي استعان بها الناقد في تطبيقاته، وتجدر الإشارة إلى أنَّنا نتجاوز الأطر النظرية لتلك المناهج بسبب حصرية البحث.

## أوّلا: المنهج المورفولوجي أو الوظيفي:

عرض عبد الحميد بورايو دراسة تطبيقية بعنوان "البعد الاجتماعي والنفسي في الأدب الشعبي الجزائري" بقراءة أولية إلى هذا العنوان الرئيسي نجده يحمل دلالة إجتماعية ونفسية مرتبطة بالأشكال الشعبية الجزائرية لكن محتوى الدراسة يشتمل على تحليل النصوص السردية كالقصص الشعبية والحكايات الخرافية والأسطورة وفق المناهج الحديثة، فكانت البداية بتقديم الأطر النظرية للمنهج المرفولوجي والجهود التي تبعته؛ إذ يبين منطلق فلاديمير بروب.

"ينطلق بروب في دراسته للحكاية الخرافية من مبدئين أساسيين في رأيه هما: 1- لا يمكن دراسة مبنى موضوع معزول عن بقية مباني الموضوعات في الحكاية الخرافية، 2- لا يمكن دراسة حافز من حوافز الحكاية الخرافية دون الرجوع إلى مجموع الحكاية"[1].

وبعد تقديم هذا التحديد المنهجي نجد الوظائف الواحد والثلاثين التي طبقها فلاديمير بروب على الحكايات الخرافية الروسية وإستفاد الدارسون في تطبيقاتهم السردية ونتج عن ذلك وجود تباين في عدد الوظائف بسبب إختلاف المواد الشعبية وأشكالها، ونقدم مثال في تحليل حكاية خرافية لعبد الحميد بورايو موشحة في الدراسة السابقة حيث حدد عشرون وظيفة ونستنتج هنا حضور المنهج الشكلاني الروسي في هذه العينة من الدراسة.

ولا غرو في ذلك إذ أصبح المنهج البروبي مرجعا للعديد من الباحثين في تحليل المواد الأدبية بكل صنوفها "لا شك أن للمنهج دور هام وأساسي في تطور الدراسة الشعبية من ناحية الكيف ونجد أنَّ هذه الدراسات قد عرفت مناهج مختلفة منذ القرن التاسعة عشر"[2].

فالمنهج أصبح ضرورة في تطور الدراسات الأدبية ومنها تحليل أنساق الأجدب الشعبي الجزائري بشرط مراعاة طبيعة المواد الشعبية وبيئتها.

**ثانيا: عرض إشكالية المنهج من خلال تطبيقات خديجة خلادي:**

في دراسةٍ موسومة ب "البعد الاجتماعي والنفسي في الأدب الشعبي الجزائري" عرض عبد الحميد بورايوفي التمهيد اتجاهات البحث في الدراسة الأدبية، والتي ذكرناها سابقًا، ثمّ قدّم مقالاً عن تطبيقات خديجة خلاّدي حول الرّوايات الشّفوية لقصص بني هلال؛ إذ يقول في قراءة هذا البحث «حاولت فيها أن تؤلف ما بين عدد المقاربات المتعلّقة بدراسة الدّلالة الأدبية من أبرزها كل من جورج ديميزيل وكلود ليفي ستروس وغريماس وديراند"[3].

هذا الكشف يستدعي اطلاع الباحث عبد الحميد بورايو على تلك الجهود الغربية في مقاربة النصوص السردية؛ فيرى أنّ خديجة خلاّدي قامت "بقراءة مزدوجة، اجتماعية ونفسيةٍ في نفس الوقت حاولت أن توفّق بين مجموعة كبيرة من المقاربات... من جهةٌ أخرى سقطت أحيانًا في التلفيقية لما جمعت بين هذه الأدوات المنهجية المتنافرة فجاءت النصوص انطباعيةً متحذلقة في بعض الأحيان، ذات طبيعة شعرية تجافي طبيعة البحث العلمي الأكاديمي في أحيانٍ أخرى، وكأنّها استطالات واستطرادات لا جدوى علمية منها"[4]. في هذا النصّ النّقدي تتجلى إشكالية تطبيق المناهج خصوصًا في تطبيق عدّة مقاربات منهجية، وإن كانت الغاية منها الاستفادة، وتوضيح الجانب النفسي والاجتماعي لمرويات بني هلال.

**ثالثا: الروافد المنهجية التي استفاد منها عبد الحميد بورايو في دراسته للنّصوص السّردية:**

وفي السياق السابق نفسه أشار عبد الحميد بورايو إلى تجربته في دراسة الأدب الشّفوي، حيث استفاد من جهود كلود ليفي ستروس، "ومن خلال اطلاعي على دراسة نظم القرابة كما تتبدّى في

الأسطورة وفق منهج كلود ليفي ستروس، استطعت أن أكشف عن تجنيدات لتحوّل نظام الأسطورة من الأموسية إلى الأبوسية، من خلال عددٍ هامّ من الحكايات الخرافية التي جمعتها من مناطق مختلفة من الجزائر"[5].

وقد عرض عبد الحميد بورايو في التحليل البنيوي للنصوص السّردية على شكل مقارنة بين قصة الشّيخ البودالي خديم سيدي عبد القادر، وقصة ثانية في كتاب "البستان" لابن مريم، كلتا القصّتين تندرجان ضمن قصص كرامات الأولياء الصالحين "سوف نقوم بتحليل النّصين كل واحدٍ على حدى؛ تحليلاً داخليًّا من أجل استكشاف العناصر المكوّنة له، ثمّ تنقل بعد ذلك للدّراسة المقارنة بينهما، في محاولة بيان ما هو مشترك فيما بينهما، وما هو ثابت، وما هو متغيّر من أجل تحديد طبيعة النمطين، ثمّ نمرّ إلى معرفة وظيفة كلّ منهما، ومكوناته في الحبكة القصصية"[6].

بهذا الإطار المنهجي يستهلّ عبد الحميد بورايو تحليل النصين مستعينًا بالمقارنة قصد تحديد طبيعة نمط كل نص، وبعد تبيان المكونات الرّئيسة للنّظام العامّ الذي يؤطّر القصّة ينتقل إلى توضيح المسار السّردي لها من خلال اكتشاف بعض الوظائف، والبرنامج السّردي الذي يعكس تمظهرات الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ثمّ تأتي الدّراسة المقارنة بين القصتين بتحديد أوجه التشابه والاختلاف، فالقصّتان تنتميان إلى نفس الشكل الأدبي، وهو قصص كرامات الأولياء، بينما التّباين يكمن في أنّ الأولى تنتمي إلى الثقافة الشّعبية والثّانية تنتمي إلى الثّقافة الرّسمية، وتمّ تفسير هذه المقاربة وفق جداول، وتكملةً لهذا التّحليل الدّاخلي المقارن كشف عبد الحميد بورايو عن مظاهر التشاكل والتّناظر في القصّتين؛ فمثلاً "تقدّم القصيتان تصوّرًا تراتبيا للوجود والمجتمع، وهي تراتبية تأسس عليها المجتمع المغاربي في العصر الوسيط، تراتبية دينية، وتراتبية اقتصادية وتراتبية سياسية"[7].

هكذا ركّز عبد الحميد بورايو في تحليل بنية هذا النمط من القصص على فعل الشخصيات وعلاقتها بالمسار السردي للمدونات الشعبية.

تشكّل دراسة الحكاية الخرافية عند عبد الحميد بورايو موضوعًا ثريًّا في التّطبيقات المنهجية، وبعد أن درس عدّة مدونات شعبيةٍ داخل الوطن نزع الباحث نحو البعد المغاربي في كشف خطابالحكاية المغاربية، فجاءت الدّراسة موصوفة بالتّحديد الجغرافيّ "الحكايات الخرافية للمغرب

العربي "وهو العنوان الرّئيس، ثمّ العنوان الفرعيّ "دراسة تطبيقية في معنى المعنى لمجموعة من الحكايات".

وفي مدخل الدّراسة يعرض الرّوافد المنهجية في تحليل المدوّنات "تأخذ دراستنا في حسبانها البحث الشّكلانيّ والبنائي الذي أنجز في هذا المجال، والذي تعود ريادته لـ"فلادمير بروب propp" و"كلود ليفي ستروس، وتمّت متابعته وتطويره من طرف من جاء بعدهما من الباحثين من أمثال "كلود برومواند Bremond" و"أ. ج. غريماس Gremas" و"ج. كورتيس Courtes" وآخرين... هكذا تعتمد الخطوات المتّبعة في دراسة النّماذج القصصية على تقطيع الحكاية إلى متواليات، وتقطيع المتوالية إلى وظائف، وتقع دراسة الشّخوص في علاقتها ببعضها؛ ممّا يسمح لنا بالاستخراج التّدريجي للترتيب الذي تنبثق على أساسه الأدوار الغرضية والفاعلية، ويجسّد نظام المتواليات والوظائف العلاقات المتبادلة ما بين القائمين بالفعل عن طريق خطاطة تساعد من أوّل نظرة على تسهيل فهم مجموع الحكاية؛ الأحداث والأطراف المشاركة فيها"[8].

يشرح الباحث طريقة تحليل المدوّنات السردية وفق الإطار المنهجي الذي حدّده سابقًا مراعيًا خصوصية الحكايات التيسجلها، الحكاية الأولى (ولد المتروكة)، والثانية (نصيف عبيد) من المنطقة الصحراوية المحاذية بين تونس والجزائر، وهذا التّسجيل كان في إطار البحث الميداني، أمّا الحكاية الثّالثة (لونجة)، (بقرة اليتامى) في مادّة شعبية تميّزت بالانتشار العالمي؛ لكن بلهجاتٍ مختلفةٍ وتباينٍ في التّسميات. أضف إلى ذلك عرض الباحث مدوّنات من المنطقة الشمالية التونسية الجزائرية، ومنطقة القبائل الكبرى الجزائرية مترجمة عن الأمازيغية، وروايةٍ مماثلةٍ في مدينة وجدة بالمغرب الأقصى قدّمتها باحثةٌ مغربيةٌ، وقد اطلع عليها عبد الحميد بورايو.

تلك المدونات الشعبية تمثل مثلثا جغرافيًّا رسم من الجزائر وتونس والمغرب بغية كشف دلالة الحكاية المغاربية عن طريق التّحليل المقارن وبيان مدى استجابتها للمقاربات المنهجية؛ إذ "تمثّل الحكاية الأولى "ولد المتروكة" أنموذجًا للحكاية الخرافية العالمية ذات البناء المكتمل والمحكم، والتي ينطبق عليها المسار السّردي الخطّي المستنبط من طرف دراسة الحكاية الخرافية الروسية ذي التّسمية العالمية

"فلادمير بروب"، وهي تحكي قصة إصابة أحد الملوك بأذى، ورحيل ابنه ولد "المتروكة" من أجل إحضار نوعٍ من أوراق الشّجر لمداواته"[9].

قسّم الباحث هذه الحكاية إلى متواليتين؛ كلّ متواليةٍ تشتمل على عدّة وظائف؛ فمثلاً نأخذ الوضعية الختامية للمتوالية الثّانية التي كانت نهايتها سعيدةً "زواج: يتزوّج البطل بأميرة الجن، وتتزوّج الوصيفات أربعين من شباب المدينة، ويعتلي ولد المتروكة العرش"[10].

وأبرز الباحث في تحليل هذه الحكاية على نظام التقابل والتّضاد، وانطلاقًا من الوظائف، وبناء الوضعية الافتتاحية والختامية للمتوالية. "تستند الوظيفة "خدعة" على وجوب التّضاد بين الأخوين من جهةٍ والبطل من جهةٍ أخرى، وهو من نوع: خادع/ مخدوع، ينتهي بخضوع البطل لأنّه كان نائمًا"[11].

ووصل الباحث اعتمادً على نظام القرابة بالنسبة لـ"كلود ليفي ستروس" بتوضيح العلاقات الأسرية "يمكن إذن أن نستنتج بأنّ حكاية "ولد المتروكة" تجسّد عن طريق الرّمز الأدبيّ عملية الانتقال التّاريخي بين نظامين اجتماعيين، هما النظام الأموسي والنظام البطريكي حسب الترسيمة التالية، والتي استعملنا فيها نفس الرّموز والأشكال التمثيلية المستخدمة من طريق الأنثروبولوجين.

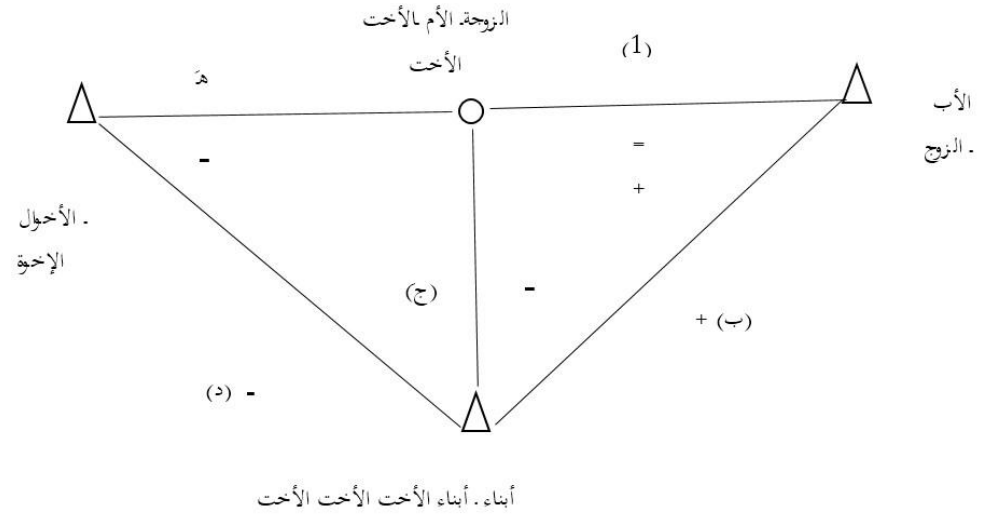

إذن يسمح تحديد مكونات نظام القرابة بمعرفة العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة وفق نظامها ومواقفها، ويقابل هذا الشّكل الذي يمثّل العلاقاتالعائلية وتحولاتها شكلا آخر بتغيير السمة السالبة بالسمة الموجبة مع بقاء النظام الأسري نفسه، وهكذا تم تحليل هذه الحكاية بتفسير دلالة بنية المعنى وأيضا تحليل ثنائية (عالم آخر، عالم بشري)."إن المواجهة ما بين النظامين، والتي تجسدها الحكاية، تسمح بتثمين العلاقات البطريقية في محيط المجتمع التقليدي، وهو النظام الذي يحظر حاليا بمشروعية دينية سياسية من خلال الممارسات اليومية، وكذلك من خلال النصوص التشريعية خاصة منها ما يتعلق بالأحوال المدنية وبالأسرة، إن بنية المؤسسة العائلية في المغرب العربي ما زالت تشابه مع ما قدمته الحكاية، ومواقف أعضاء الأسرة اليوم لا تختلف في عمومها كثيرا عن المواقف التي تشيدها القصة المدروسة"[12] سمح هذا الاستنتاج بتوضيح رسالة الحكاية المبنية على النظام الأسري التقليدي في مسألة الزواج وآثاره في المعاملات سواء من طرف الزوجين أو الأبناء.

أمّا الحكاية الثانية "نصيف عبيد" فهي مشابهة للأولى من حيث موضوعها الأسري وتعدد الزوجات، وبعد تحليل خطاب الحكاية توصل عبد الحميد بورايو بطريقة التحليل المقارن "إن الهيكل المشترك للقصتين يتطلب في البداية إظهار الانتماء الأبوي للأبناء، ثم التمييز بين علاقتي المودة والتسلط التي تحكم مختلف العلاقات الأسرية"[13]. وركز على العلاقات الأسرية لتسويغ أسباب الفشل وسبيل تحقيق النجاح في هذا الإطار الانتمائي للحكاية.

ويأتي المثال الثالث بتحليل حكاية "لونجة" بالاستناد على نظام الوظائف، ونظام القرابة، حيث يدل معنى هذه الحكاية التي جمعها الباحث بين الحدود التونسية والجزائرية على أنها مشابهة للحكاية الأولى والثانية في موضوع العلاقات العائلية "أبرزت حكاية لونجة، نفس بنيات القرابة الأبوية (البطريقية) والأموسية التي كشفت عنها حكاية "ولد المتروكة" و"نصف عبيد" عبرت عن نفس وجهة النظر المفاضلة بين النظامين البطريقي والأموسي، حيث تم تثمين الأول وتحقير الثاني"[14].

ويختم عبد الحميد بورايو تحليل الحكايات السابقة بيان وظيفة الشخوص لكل حكاية، إلا أننا يمكن القول أن حكاية "لونجة" تختلف من منطقة لأخرى بالزيادة أو النقصان، وهناك تشابه في الشخوص، والوظائف والوضعية الختامية للحكاية وهي الزواج، وقد نجد تباين في عدد وظائف فلادمير بروب فمثلا عند وقوفنا على حكاية لونجة بالشرق الجزائري وفي منطقة جغرافية حصل الباحث على مدونة شعبية لحكاية لونجة وبعد تحليلها تحصلنا على واحد وعشرين وظيفة (مدونة الحكاية لونجة في الشرق الجزائري).وتحصيل حاصل فالمادة الشعبية التي تمثل خطاب هذه الحكاية تختلف من منطقة لأخرى ، نظرا للزيادة أو النقصان الذي يطالها ، ورغم ذلك تبقى من أهم المدونات الشعبية في تحليل الخطاب .وقد أوردنا هذا المثال في إطار التحليل المقارن الذي يخدم القارئ.

وتأتي المدونة الرابعة بعنوان "حكاية محذوق ومحروش مع الغولة"، وبنفس التحليل السابق أبرز الباحث الجانب الأسري دلاليا في إطار بنية النص إلا أنه لم يغفل الجوانب السياقية للمدونة بالنظر إلى سياقها الثقافي."ترمي هذه المقاربة التحليلية إلى دراسة النص الأدبي الشعبي باعتباره دالا في ذاته، لذلك سوف نعتمد في التحليل على عناصره المكونة دون اللجوء لما خارجه، وهذا لا يعني بالطبع أننا لا نعطي اعتبارا لما يمكن أن تجنيه الدراسة الأنثولوجية من فائدة، كما لا يعني أننا نغض الطرق عن علاقة الحكاية بالسياق الثقافي الذي أنتجها"[15].

إن دراسة الحكاية بهذا الإطار المنهجي لا يعني الدراسة البنيوية الصرفة، فالنص الحكائي لهذا التطور يخضع للتجاوب الداخلي والخارجي. وعليه فحص عبد الحميد بورايو النظام السردي لهذه الحكاية بتحليلها داخليا وحصر دلالاتها منها دلالة الصور في الحكاية التي ترتكز على العلامة حيث يكشف "محذوق، محروش مع الغولة" يقوم على العلاقة الثنائية، محتوى/محتوى، أي: على وجود: مادة/صورة، فإذا ما حدث تطابق بين الطرفين سميت العلامة "صادقة"، وإذا لم يحدث هذا التطابق كانت العلامة زائفة"[16].

وسمح هذا الإجراء التطبيقي للعلامة على دراسة نص الحكاية من منظور تقابلي نحو: الصدق والكذب. وقد سعى عبد الحميد بورايو في دراسة نظام الحكاية بتطبيق المنهج البروبي بدراسة

الوظائف والمتواليات والمنهج السيميائي في دراسة العلامة، وأيضا الاستعانة بالأنثروبولوجيا وأبحاث كورتيس.

وفي الأخير قام عبد الحميد بورايو بدراسة مدونة في منطقة القبائل "حكاية أعمر الأتان"، البطل حامل الحضارة بنفس طريقة النظام السردي للمدونات السابقة مستعينا بأشكال وجداول لتوضيح الوظائف والعلاقات والتضاد، إذ أبرز الباحث الدلالة الاجتماعية للنص السردي "وتصور الحكاية قصة صراع الإنسان مع الطبيعة من أجل تسخيرها لخدمة أغراضه، وتمثل مرحلة الإدراك الموضوعي للحجم الطبيعي لقوة الإنسان والحيوان...يلعب الحيوان دورا أساسيا في مساعدة الفلاح على استغلال الأرض، ونقل المواد والمحاصيل الزراعية"[17]. لذا تتجلى رمزية الأتان في الحكاية بتوضيح دوره في حياة الإنسان.

لا شك بعد استعراض المدونات السابقة التي فحصها عبد الحميد بورايو وبالتحليل والمقارنة في إطار خلق صورة عامة للحكاية المغاربية رغم اختلاف المناطق الجغرافية وبالتالي نعتقد أنه استطاع أن يظهر اهتمامه المنهجي بصورة تطبيقية للنص السردي الحكائي المغاربي. تلك المقاربات تكاد أن تجيب عن سؤال المنهج في النص الشعبي المغاربي، فحضرت الدراسة البنيوية وخاصة المنهج البنيوي الأنثروبولوجي والدراسة السيميائية الدراسة العلامة في النص الحكائي وفق تصورات غريماس.

لم يقم عبد الحميد بورايو بالترديد الحرفي للمناهج الغربية بل استفاد منها، وأضاف إليها عناصر تخدم النص الشعبي المغاربي كالسياق الاجتماعي والثقافي، ومعالجة المسار السردي وفق خطوات منهجية. وقد تجلت أيضا وظائف فلادمير بروب وأبحاث ليفي ستروس وكورتيس لفهم موضوع الحكايات.

وفي الأخير نقدم موقفه المنهجي كما أورده في خاتمة هذا الكاتب "حاولت هذه الدراسة أن تتجنب قدر الإمكان الاعتماد على التطبيق الميكانيكي والارتباط الحرفي بالطرق والمناهج الغربية، وعملت على الاستفادة منها حسبما تحيله ضرورة مراعاة درجة تطور الأبحاث العلمية العالمية في هذا الميدان"، وقد أفضت هذه الدراسة إلى تكريس الدرس المقارن الذي سمح لها بتوضيح الاتفاق بين الأمثلة المدروسة في كشف الانتماء للحكايات الخرافية أي: تحديد مكان العمل الأدبي أيضا وبيان

مصير الإنسان وعلاقاته الأسرية والاجتماعية والقيم المنبثقة عنها. وهذا ما وصل إليه عبد الحميد بورايو في دراسة تلك المدونات المغاربية.

وبنفس الرؤية النقدية قدم عبد الحميد بورايو دراسة ميدانية بمنطقة بسكرة والموسومة بالقصص الشعبي في منطقة بسكرة، فالمادة القصصية المدروسة محددة بحيز جغرافي يوضحه العنوان، وقد تمظهر المنهج البنيوي في تحليل النصوص الشعبية. واتسمت الدراسة كذلك بالطابع الأنثروبولوجي خصوصا في تقديم المجتمع الشعبي في بسكرة، ففي الفصل الثاني ركز عبد الحميد بورايو على أنماط القصص الشعبي مشيرا إلى إشكالية التصنيف في أشكال التعبير الشعبي، وعالج أيضا في هذه القضية القصص البطولية والمغازي والحكاية الشعبية والحكاية الخرافية وتضم هذه الأشكال تقسيمات حسب كل شكل، فمثلا نجد قصص البطولة البدوية في مجتمع القص البسكري "استقرت فيها قبائل بني هلال منذ القرن الحادي عشر ميلادي السيرة الهلالية، ومازالت ذاكرة مجتمع القص تحفظ بذكرى أولئك الرواة الذين كانوا يتجولون في ليالي الصيف، ويتحلق حولهم سكان القرى ومضارب الخيام، لينشدوا قصصا تتعلق بهجرة الهلاليين من المشرق إلى شمال افريقيا باستقرارهم فيها"[18] وآثرنا هذا النمط لبيان أثر السيرة الهلالية في انتشار القصص الشعبي.

أما الفصل الثالث فقد استعرض عبد الحميد بورايو نماذج من النصوص من النصوص التي جمعها وصنفها منطلقا من دراسة البنية التركيبة الممتدة من المنهج البنيوي فاختار الدراسة التطبيقية لقصص البطولة (قصة غزوة الخندق) والحكاية الخرافية (حكاية ولد المحقورة)، والحكاية الشعبية (حكاية الإخوة الثلاثة).وشرح طريقة تحليل هذه النصوص بشكل دقيق، وهذا ما تتطلبه الصرامة المنهجية فإذا نظرنا إلى النص الأدبي باعتباره مظهرا بنية كائنة تعبر عن نفسها، ومن يفصح عن استفادته من أبحاث تودوروف ثم دراسة الوحدات الوظيفية حسب الأفعال وفق منهج فلاديمير بروب ودراستها دراسة تركيبية على المستوى الدلالي والعلاقات الاستبدالية حسب غريماس.

هذا الطرح المنهجي التمهيدي يكشف عن اهتمام عبدا لحميد بورايو بالمنهج في دراسة المدونات الشعبية، وبهذه الطريقة لا يجد المتلقي إشكالا في فهم مصادر تحليل النص الشعبي. ولكي

يفسر البنية الدلالية يستعين عبد الحميد بورايو بالمربع السيمائي، ونأخذ مثلا في القصة الأولى الشكل الثاني[19]:

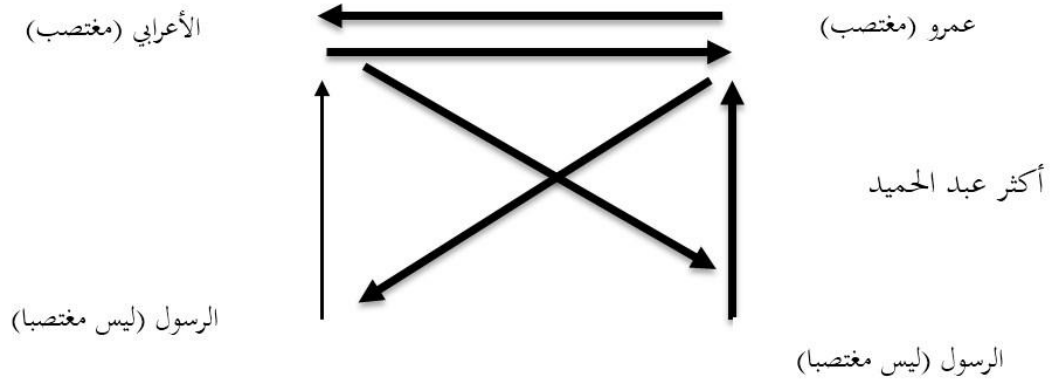


بورايو أثناء تحليله قصة "غزوة الخندق" بالأشكال وخاصة المربعات السيميائية التي تقدم بصورة جلية التضادات في القصة، وبالتالي أعطى للقصة حقها من التحليل الداخلي الذي ختمه بكشف المدلول الاجتماعي لها. "بعد أن أعطينا البناء الداخلي باعتباره بنية دالة حقه في التحليل، وكشفنا عن وحدته التركيبية، وبالتالي أجتزنا مرحلة فهمه، يحقق لنا أن تنقل الآن إلى جانب آخر من الدراسة يتمثل في مرحلة شرح النص عن طريق بيان علاقة بنيته بالبناء الاجتماعي"[20].

لذا يمكن القول أنّ معظم دراسات عبد الحميد بورايو التطبيقية تبدأ بتحليل بنية النص ثم ربطه بالسياق الاجتماعي والثقافي.

وأما المدونة الثانية وهي حكاية خرافية (ولد المحقورة)، والتي رواها محمد إسماعيل من قرية سيدي خالد ببسكرة شرح في تحليلها عبد الحميد بورايو على شكل مجموعات وظيفية (الافتتاحية والوسيطة والختامية)، واستند في ذلك على منهج فلاديمير بروب "ولهذا فإننا سنتتبع أعماله ونرصد توافقها، ودلالاتها، مع تنبيهنا إلى أن مثل هذه المعالجة هي التي اهتم بها "فلاديمير بروب" في دراسة موفولوجية الحكاية الخرافية الروسية"[21]. وكانت نتيجة التحليل الوظيفي لهذه الحكاية هي 14 وظيفة،

وأثناء التحليل الدلالي كشف عن التضادات الرئيسية والفرعية برسم المربع السيميائي، وقد ختماها مثل المدونة الأولى بتوضيح المدلول الاجتماعي بواسطة النظام القرابي والقيم المستنبطة منها.

اختار عبد الحميد بورايو حكاية الإخوة الثلاثة لكون المدونة الشعبية الأخيرة في هذه الدراسة الميدانية، إذ يوحي عنوانها بالنظام الأسري وتحديث الزاج، وبتطبيق نظام الوظائف البروبي وصل الباحث إلى ثمانية وظائف، ثم درس التضاد على منوال العلاقات الدلالية السيمائية بصورة المربعات السيمائية كالمدونات السابقة ويقول بصدد التحولات البنيوية في الحكاية "فنجد أن الحكاية الأم قدمت تحولا دلاليا معادلا للتحول الذي أصاب الإخوة الثلاثة أبطال الحكاية، من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرشد، وبعد الزواج علامة هذا التحول من المرحلة الأولى من المحيط الفردي للأخوة إلى المحيط الاجتماعي عن طريق دخولهم في علاقات اجتماعية جديدة هي علاقات الزواج" [22].

نلاحظ أن قضية الزواج لها حضور مكثف في الحكايات الشعبية لذا فهي نسق مركزي يصور قضايا تعكسها القيم العديدة مثل: الأبوة والإنسانية والترفيه وأيضا تستجيب لتطبيق المناهج والأبحاث سواء من حيث الوظائف أو العلامة أو الكشف عن المعنى أو تفسير الأبنية وهذا حسب طبيعة المادة الشعبية المدروسة.

ولقد ختم عبد الحميد بورايو بذكر أهم النتائج المستنبطة من هذا البحث الميداني، بقوله النتيجة الأخيرة "برهن تطبيق المتتبع البنيوي في دراسة نماذج النصوص، عن جدواه في فهم هذه النصوص، مما يجعله مؤهلا لأن يلعب دورا في تحديد فهم تراثنا القصصي وإعادة تقييم أشكاله التعبيرية، كما أنه مؤهل لأن يوجد قاعدة لإقامة تصنيف موحد للتراث القصصي الشعبي العربي، يعتمد الملامح البنيوية أساسا للتمييز بين الأنماط القصصية"[23].

وفي نفس المسايرة المنهجية وروافدها لهذه الدراسة نستهلها بقراءة نقدية لحسين خمري في إطار دراسة النص الشعبي، وقد خص هذا الكتاب بكشف نظامه المفهومي وإطاره المرجعي بغية توضيح الانزياحات المرتبطة بالمنهج. وشرع الناقد بقراءة العنوان ثم طريقة التحليل، ففي العنوان الفرعي (دراسة ميدانية) يقول "فهو يعني أن الباحث قد انتقل إلى المكان المعين ليقوم بدراسة هذا

القصص، والدراسة الميدانية غالبا ما تكون وصفية أو اجتماعية أو أنثروبولوجية فهل التزم الباحث بهذا العنوان الفرعي"[24].

لا شك أن الدراسة الميدانية تتطلب الاستعانة بعدة مناهج خاصة المنهج الأنثروبولوجي المناسب لفهم وضعية المادة الشعبية في المنطقة الجغرافية بصورة شاملة، وهناك دراسات تستعين بالمنهج الإحصائي. وفي نفس السياق رأى الناقد حسين خمري "بأن الدراسة التي قام بها الباحث تعتمد على المنهج الأنثروبولوجي أو الاجتماعي، وهو ما حاول الباحث أن ينجزه على الرغم من تعامله في الكثير من الأحيان مع المنهج البنيوي"[25].

وقد جاء في تقديم هذا الكتاب –كما قلنا سابقا–تصريح عبد الحميد بورايو باعتماده المنهج البنيوي في دراسة البنية التركيبية للقصص لكن حسين خمري توقف عند كلمة "الاستعانة" فهي توحي عدم الاهتمام الكلي على هذا المنهج "يعني أنه لم يعتمد المنهج البنيوي وحده، ولكن زاوجه مع المنهج الأنثروبولوجي وخاصة كما طبقه ليفي ستروس ويتجلى ذلك من خلال تركيز الباحث – أثناء –تحليله للنصوص على علاقات القرابة وربطها بعلاقات السرد"[26].

وكما لاحظنا أن القصص الثلاثة مضمونها اجتماعي متعلق بالزواج فلم يغفل عبد الحميد بورايو دراسة نظام القرابة بمنظور أنثروبولوجي، ورغم ذلك لم يسجل دوره في خاتمة البحث، بل ركز على دور المنهج البنيوي في تمييز أنماط النصوص، ولئن طابقنا بين كلمة الاستعانة التي توقف عندها حسين خمري وما أقره عبد الحميد بورايو في الخاتمة بدور المنهج البنيوي، فإننا نجد إشكالية في تحديد المنهج الرئيسي وروافده.

ونود أن نعيد طريقة مقاربة عبد الحميد بورايو للقص الشعبي أي: المزاوجة بين الدراسة الداخلية البنيوية والخارجية السياقية هذه الأخيرة التي اهتمت بالسياق الاجتماعي والاقتصادي وهذا ما لاحظه حسين خمري "من خلال هذه الفقرات ينتقل الباحث من منهج (غريماسي–لفي ستروس) إلى منهج آخر (جينت، تودوروف) أي من الوظيفي إلى الشكلي، إلى المنهج الاجتماعي الغولدماني الذي يربط البناء الذهني بأشكال الإنتاج الفني، وذلك أثناء ربطه للمدلول الاجتماعي للقصص ببنائها الهيكلي"[27].

وبعد تقديم بعض الملاحظات المنهجية الدقيقة لحسين خمري في هذه الدراسة من ناحية سؤال المنهج والمرجعية نستنتج حضور إشكالية المنهج في الدراسات والمقاربات النصية، والمتمثلة في تداخل عدة مناهج في الدراسة، أضف إلى ذلك غياب الشرح الوافي للمناهج التي تستخدم في تحليل المدونات الشعبية، وعدم التصريح بها في بعض الحالات سواء في العناوين أو المقدمات. أما عبد الحميد بورايو أشار إلى المنهج البنيوي، فدرس الوظائف حسب بروب واستفاد من المناهج الأخرى كما رأينا.

وقد غلبت على الدراسة كثرة الأشكال مثل المربعات السيميائية التي تستدعي دراسة العلامة وفق محاولات التضاد التي ترسم العلاقات في القصص الشعبي، وكذا غلبة المراجع الأجنبية التي تحيلنا إلى المنهج ومرد ذلك اشتغال عبد الحميد بورايو بحقل الترجمة، فقد ترجم العديد من الكتب وأيضا الاستفادة منها خدمة للبحث والمتلقي ومهما يكن فإن هذه الدراسة تبرز استجابة النص الشعبي القصصي للمنهج حسب المنطلقات المنهجية وأيضا تعد من الدراسات الميدانية التي تكشف عن طريقة ومراحل المنهج الميداني.

وبالنظر إلى الدراسات التي اهتمت بالمنهج السيميائي نجد دراسة سيميائية الموسومة بالمسار السردي وتنظيم المحتوى دراسة سيميائية من حكايات ألف ليلة وليلة، وهي عبارة عن رسالة دكتوراه. إن العنوان الفرعي للدراسة يوحي بالمنهج الذي اتبعه عبد الحميد بورايو، وقد أشار إليه في مقدمة الرسالة، فكانت المدرسة الغريماسية ذات التوجه الشكلاني منطلقا لدراسات مجموعة من حكايات ألف ليلة وليلة، والتي تعامل معها بقوله: "سوف نسعى في كل محاولة من محاولاتنا للتحليل وتحديد الأشكال السردية إلى وضع نموذج خاص يعين الشكل الذي تنتمي إليه المادة المحللة، وإذا ما كانت هذه الطريقة تتطلب عددا من المقدمات المتعلقة بالنوع الخاضع للتحليل (السرد النثري) مثل اختيار النموذج المنطقي المرجعي وتحديد المجالات الخاصة يحدد ما هو سردي وبالهيئات السردية والبنية الفاعلية، وتعتمد على عمليات اختزال مشتركة مع دراسات أخرى مشابهة لها، فإن التحديد نفسه للوظائف السردية لا يمكن أن يكون إلا خاصا بالعمل المدروس وبالوسط الثقافي الذي كما فيه، فلا شك أن احترام خصوصية النص المعالج يعد أمرا ضروريا"[28].

ومن النماذج التي درسها عبد الحميد بورايو في قصة الملك شهريار والتي تتضمن القصص التالية: –شهريار وشاه زمان.–المرأة والعفريت.–شهرزاد وأبيها والملك شهريار.–الثور والحمار وصاحب الزرع وزوجته.

رسم عبد الحميد بورايو لدراسة تلك المدونات السردية بمعالجة المسار السردي لكل قصة والوظائف السردية بالتمثيل مع دراسة البنيات كالبنية العميقة ثم استنتاج شبكة العلاقات بواسطة المربع السيمائي. وكما جاء في تقديمه للدراسة، فلم يعمل الأطر النظرية، ونأخذ مثالا في تعريفه للمربع السيمائي: "نقصد بمربع سيميائي التمثيل البصري للتمفصل المنطقي لمقولة دلالية ما. فالبنية الأولية للدلالة، لما عرفت–في مرحلة أولى–كعلاقة بين حدين على الأقل، لا تستند إلا على تمييز تقابل يميز المحور الاستبدالي للغة، فهي، بالتالي كافية لتكوين استبدال مركب من ع من الحدود، لكنها لا تسمح بشكل كاف بالتمييز، داخل هذا الاستبدال لمقولات دلالية مؤسسة على تشاكل (القرابة) ملامح مميزة التي يمكن التعرف عليها فيها، يصبح تضيف للعلاقات ضروريا، لفضله يمكن تمييز الملامح الذاتية المشكلة للمقولة عن تلك التي تكون غريبة عنها"[29].

ركز عبد الحميد بورايو على البنية الدلالية في تحليل محتوى الخطاب السردي موضع الدراسة، حيث خلص بأن "يقع الاستثمار الدلالي عن طريق الانتقاء، المنجز من طرف الأدوار الفاعلية، الأدوار الغرضية التي من أجل تحقيق إمكاناتها، تستغل الصعيد التأصيلي للكلام وتتجلى تحت شكل صور تمتد في تجسيدات خطابية... وما دام الفعل السيميائي متحققا في إطار الموضوعات السردية، يقوم أساسا في لعبة الاكتساب والتخلي على استبدالات وتبادلات للقيم، صيغية أو إيديولوجية"[30].

وفي دراسة ثانية كشف عبد الحميد بورايو في كتاب بعنوان "البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري دراسات حول خطاب المرويات الشفوية الأداء، الشكل، الدلالة"

نلاحظ أن العنوان يتألف من عنوان رئيسي يدل على أدب البطولة وعنوان فرعي يدل على طريقة دراسة المرويات.

وقد كشف عبد الحميد بورايو في تقديم هذا الكتاب بالمنهج المتبع في تحليل خطاب المرويات حيث ذكر المنظور الأول المرتبط بالمقارنة بين النصوص من أجل كشف ملامح القرار، والمنظور الثاني الذي يقول فيه "فيعتني بالتحليل الداخلي للنصوص بعد عزلها ومحاولة بيان تركيبها"[31].

إذن فالمنظور الثاني يشير للمنهج البنيوي، وأما المرويات التي درسها في هذا الكتاب تتمثل في الأشكال الشعبية كالقصة الشعبية والمغازي والسيرة والحكاية الشعبية والحكايات الخرافية ونقدم موقفا في تحليل الناقد للمغازي والسيغ حيث حاول كشف الجانب البطولي ودلالاته إذ يبدو أنه تأثر بالأدب الشعبي المصري وتحديدا في قصص البطولة نحو ما ذكرته النبيلة إبراهيم ونسجل في تحليل الحكاية الشعبية الطرح المنهجي في مقاربة الحكاية الشعبية بمنظور بنيوي وسميائي "ننطلق في هذه المقاربة المنهجية للحكاية الشعبية من المفهوم الذي يرى فيها حاملا لدلالة ما يجب أن يهدف البحث إلى الكشف عنها"[32].

بهذا الشكل يجمع الناقد بين منهجين مختلفين بل قد أضاف منهج آخر هو المنهج الأنتروبولوجي في تحديد نظام القرابة.

وفي دراسة تطبيقية أخرى عالج عبد الحميد بورايو بتحليل نماذج من القصص من ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة نذكر ما يلي: قصة الملك شهريار، قصة الصياد والعفريت، قصة الحمامة المطوقة، قصة الحمامة والثعلب ومالك الحزين، حلل تلك المدونات وفق خط منهجي عام إذ "تقوم الطريقة المنهجية التي يقترحها التحليل السيميائي للخطاب السردي على إقامة نماذج منطقية تحكم البناء الشكلي للمسار السردي ولانبثاق الدلالة"[33].

وبنفس الطريقة المنهجية السابقة درس عبد الحميد بورايو المدونات بيان المسار السردي، والوظائف والبنية الدلالية والبنية العميقة ليكون في الأخير المربعات السيميائية الناتجة عن بنية العلاقات فمثلا نأخذ المربع السيميائي الناتج عن البنية الدلالية العميقة[34] لقصة الحمامة والثعلب ومالك الحزين لابن المقفع.

ويغلب التحليل السيميائي في مقاربات عبد الحميد بورايو للنصوص السردية، مركّزا على الجانب الدّلالي "ننطلق في معالجتنا هذه من المفهوم الذي يرى في النصّ جهازا عبر لساني يتخلّل الكلام التواصلي (اللغة)؛ فهو يتحدّد أساسا كإنتاجية يعتمد على الفهم والبناء، يمثّل دليلا منفتحا، وهو قابلية لتعدّد الدّلالات[35].

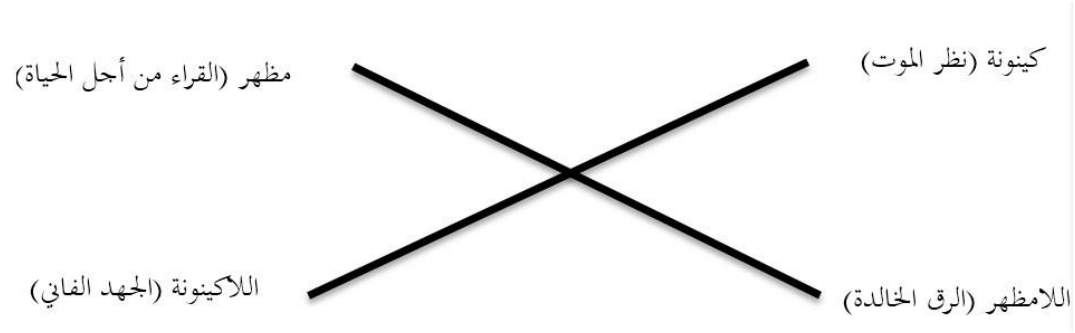


وهنا نخلص إلى استجابة النص الأدبي سواء أكان فصيحا أم شعبيا لمختلف المقاربات المنهجية، وهو دليل على إثراء المنجز النقدي نظريا وتطبيقا.

**خاتمة:**

ونجمل أهم النقاط البارزة في تطبيقات عبد الحميد بورايو للمناهج الحديثة فيما يلي:

إن أسئلة المنهج متجددة في الدراسات النقدية الحديثة، فهي خاضعة لثنائية التأثير والتأثر وكذا التطور الحاصل في كل المجالات. فمن خلال التحليلات السابقة استطاع عبد الحميد بورايو أن يقارب المواد الشعبية كالحكايات الشعبية والقصص الشعبي بمختلف المناهج الحديثة نحو المنهج المرفولوجي والبنيوي والسيميائي والأسطوري. والملاحظ أنه لم يقم بالترديد الحرفي للمنهج، حيث راعى خصوصية المواد الشعبية، وقد استخدم عدة مناهج في تحليلاته للبنى السردية، ونتج عن ذلك كثرة الجداول والترسيمات والمربعات، أضف إلى ذلك بروز إشكالية المصطلح.

يمكن القول إنّ الناقد عبد الحميد بورايو جمع في تطبيقاته مختلف المناهج التي استجابت . عموما . للنصوص السردية القصصية وخاصة البحث في النياسة الأدبية.

## الهوامش والإحالات:

[1] عبد الحميد بورايو: البعد الاجتماعي والنفسي في الأدب الشعبي الجزائري، منشورات بونة للبحوث والدّراسات، عنابة، الجزائر، ط1، 2008، ص 11. 12.

[2] عبد الحميد بورايو: في الثقافة الشعبية الجزائرية، التاريخ والقضايا والتجلّيات، منشورات رابطة الأدب الشعبي، لاتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ص 160.

[3] عبد الحميد بورايو: البعد الاجتماعي والنفسي في الأدب الشعبي الجزائري، ص 22.

[4] عبد الحميد بورايو: المصدر نفسه، ص27

[5] عبد الحميد بورايو: المصدر نفسه، ص 31.

[6] عبد الحميد بورايو: البعد الاجتماعي والنفسي في الأدب الشعبي الجزائري، ص 35.

[7] عبد الحميد بورايو: المصدر نفسه، ص 46

[8] عبد الحميد بورايو: الحكايات الخرافية في المغرب العربي دراسة تطبيقية في معنى المعنى لمجموعة من الحكايات، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 15. 16

[9] عبد الحميد بورايو: المصدر نفسه، ص 21.

[10] عبد الحميد بورايو: المصدر نفسه، ص 30.

[11] عبد الحميد بورايو: المصدر نفسه، ص 35.

[12] عبد الحميد بورايو: المصدر نفسه، ص 45

[13] عبد الحميد بورايو: المصدر نفسه، ص 42.

[14] عبد الحميد بورايو: المصدر نفسه، ص 77

[15] عبد الحميد بورايو: المصدر نفسه، ص 99.

[16] عبد الحميد بورايو: المصدر نفسه، ص104.

[17] عبد الحميد بورايو: المصدر نفسه، ص121

[18]– عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة دراسة ميدانية، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م.

[19] عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة، ص 153

[20] عبد الحميد بورايو: المصدر نفسه، ص 196

[21] عبد الحميد بورايو: المصدر نفسه، ص 205

[22] عبد الحميد بورايو: المصدر نفسه، ص 252

[23] عبد الحميد بورايو: المصدر نفسه، ص 299

[24]– حسين خمري: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيمائية الدال، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص 438.

[25] حسين خمري: المرجع نفسه، ص 439.

[26] حسين خمري: المرجع نفسه، ص 439

[27] حسين خمري: المرجع نفسه، ص 457

[28]–عبد الحميد بورايو: المسار السردي وتنظيم المحتوى دراسة سيمائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليلة، دكتوراه علوم، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1995، 1996م.

[29] عبد الحميد بورايو: المسار السردي وتنظيم المحتوى ص 232

[30] عبد الحميد بورايو: المرجع نفسه ص272، 273

[31] عبد الحميد بورايو: البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري دراسات حول خطاب المرويات الشفوية الأداء، الشكل، الدلالة، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 12.

[32] عبد الحميد بورايو: المصدر نفسه، ص 82.

[33]– عبد الحميد بورايو: التحليل السيميائي للخطاب السردي دراسة الحكايات من ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة، (الملك شهريار، الصياد والعفريت، الحمامة المطوقة، الحمامة والثعلب ومالك الحزين)، منشورات الاختلاف عادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر.

[34] بورايو: التحليل السيميائي للخطاب السردي ص 99

[35] عبد الحميد بورايو: إنتاجية النصّ دراسة في أركيولوجية الثقافة الجزائرية من خلال أنماط نصية أدبية؛ الأسطورة، الملحمة، الرّواية، مجلّة اللغة والأدب، الجزائر، ع 12، 1997، ص 192.

## قائمة المصادر والمراجع:


1. عبد الحميد بورايو: البعد الاجتماعي والنفسي في الأدب الشعبي الجزائري، منشورات بونة للبحوث والدّراسات، عنابة، الجزائر، ط1، 2008
2. حسين خمري: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيمائية الدال، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.
3. عبد الحميد بورايو: البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري دراسات حول خطاب المرويات الشفوية الأداء، الشكل، الدلالة، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.

4. عبد الحميد بورايو: التحليل السيميائي للخطاب السردي دراسة الحكايات من ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة، (الملك شهريار، الصياد والعفريت، الحمامة المطوقة، الحمامة والثعلب ومالك الحزين)، منشورات الاختلاف عادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر .
5. عبد الحميد بورايو: الحكايات الخرافية في المغرب العربي دراسة تطبيقية في معنى المعنى لمجموعة من الحكايات، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
6. عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة دراسة ميدانية، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م.
7. عبد الحميد بورايو: المسار السردي وتنظيم المحتوى دراسة سيمائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليلة، دكتوراه علوم، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1995، 1996م.
8. عبد الحميد بورايو: إنتاجية النصّ دراسة في أركيولوجية الثقافة الجزائرية من خلال أنماط نصية أدبية؛ الأسطورة، الملحمة، الرّواية، مجلّة اللغة والأدب، الجزائر، ع 12، 1997.